

الهجرة والنمو الحضري *مدينة ادرار نموذجا*

د. بوزيد علي
جامعة أدرار

يتميز القرن الحالي بالتزايد المستمر في سكان المدن والمناطق الحضرية في كل أنحاء العالم، إلى الدرجة التي يذهب معها البعض الى تمييز هذا القرن بأنه " قرن التحضر " .



لذا نهدف من خلال تناولنا لهذا الموضوع بتسليط الضوء على هذا العنصر باعتباره عاملا مؤثرا على النمو الحضري ومحاولة معرفة علاقته بالتحضر وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن عوامل التي أدت الى زيادة حجم الهجرة نحو المدينة مع التركيز على الهجرة من المدن الشمالية و من القصور .

Résumé:

La caractéristique la plus importante de ce siècle est la population urbaine et urbaine en augmentation constante dans le monde, au point que certains le voient comme un "siècle d'urbanisation".

Dans ce contexte, nous visons à faire la lumière sur cet élément en tant que facteur influençant la croissance urbaine et en essayant de connaître son lien avec l'urbanisation.

Le but de cette étude est de découvrir les facteurs qui ont conduit à une augmentation du volume de la migration

vers la ville, en mettant l'accent sur la migration des villes du Nord et les Palais..

مقدمة

إن أهم ما يميز القرن الحالي هو التزايد المستمر في سكان المدن والمناطق الحضرية في كل أنحاء العالم، إلى الدرجة التي يذهب معها البعض إلى تمييز هذا القرن بأنه " قرن التحضر ".

وتشير التحليلات الحديثة التي تناولت النمو الحضري في المدن الجزائرية إلى تأثير الهجرة الداخلية على نمو تلك المدن وتؤكد تلك التحليلات أيضاً على أنه في الأماكن التي تشهد انخفاضاً في معدلات الزيادة الطبيعية، وتدفع متواضع للمهاجرين سواء من المتجمعات الريفية أو البدوية. تسهم بفعالية في النمو الحضري المتزايد في نمو المدن.

وانطلاقاً من تزايد معدلات الهجرة الداخلية إلى المدن الجزائرية وبخاصة بعد ظهور النفط، فقد اهتمت الحكومات الجزائرية بتطوير المدن، وهو الأمر الذي تطلب الاهتمام بتوفير كافة الخدمات الحضرية (الإسكان، وخدمات الكهرباء والمياه، والتليفونات، والمدارس، فضلاً عن الخدمات الصحية والترفيهية وغيرها) التي تشكل دعامة أساسية لنجاح عمليات التنمية في المجالات المختلفة.

بيد أن هذه الظاهرة المتعددة الأبعاد لم تحظ في بلادنا باهتمام كبير مثلما حظيت به غيرها بالبحث والتحليل، فكثيراً ما ارتبطت الهجرة في الجزائر بانتقال السكان من الريف إلى المدن، لكن ومع مرور الوقت اكتسبت هذه الظاهرة اتجاهات جديدة نظراً للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفت بها البلاد؛ لذا نهدف من خلال تناولنا لهذا الموضوع تسليط الضوء على هذا العنصر باعتباره عاملاً مؤثراً على

النمو الحضري ومحاولة معرفة علاقته بالتحضر. وهو ما يستدعي طرح الإشكال التالي:

- كيف تساهم الهجرة في التحضر وزيادة النمو الحضري لمدينة أدرار؟.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن عوامل التي أدت إلى زيادة حجم الهجرة نحو المدينة مع التركيز على الهجرة من المدن الشمالية و من القصور. وتتلور عناصر هذه الورقة البحثية في:

1- مفهوم الهجرة.

2- عوامل الهجرة إلى مدينة أدرار.

3- مظاهر الهجرة إلى مدينة أدرار.

4- مراحل تحضر مدينة أدرار.

خاتمة

1- مفهوم الهجرة:

تعد حركة السكان عاملاً هاماً للغاية في تكوين السكان، فهي وسيلة يمكن عن طريقها أن ينظم السكان أنفسهم عندما يطرأ عليهم نمو زائد أو نقصان شديد، ولقد كانت حركة السكان خلال التاريخ هي الوسيلة التي عن طريقها عمرت الأقاليم الجديدة.

ويرى ابن خلدون ((... ان الانسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية وأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء...))¹، فالإنسان يهاجر دائماً إلى حيث تتوفر سبل عيشه الرغيد وتأمين حياته بصورة أفضل .

¹ حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، ط7، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص 171.

ويصنف علماء الاجتماع الهجرة على أساس الكم أو الزمن ، فمن حيث الكم قسموا الهجرة على: (هجرات فردية) و (أسرية) و (جماعية) ، فالهجرات الفردية تعني انتقال الأفراد منفردين من موطنهم الأصلي إلى موطن أخرى، أما الأسرية فهي انتقال المهاجر مع أسرته من موطنه الأول إلى موطن آخر، بينما الهجرات الجماعية هي التي يشترك فيها جماعة من الناس أفراداً وأسرراً كالهجرات الناجمة عن الكوارث الطبيعية وهو ما حدث لليمنيين في أثناء انهيار سد مأرب الذي كان مصدراً للاستقرار والعيش، أو الهجرات الناجمة عن الأحداث والعنف السياسي كما حدث للشعب الفلسطيني عندما هاجر من أرضه عام 1948¹.

أما من حيث الزمن فقد قسموا الهجرة على: (هجرات دائمة) و (هجرات مؤقتة)، والمؤقتة عكس الدائمة فهي تحمل في طياتها الرغبة بالعودة إلى الموطن الأصلي كالهجرات الحديثة التي ارتبطت بحركة الرأسمال العالمي والحاجة للأيدي العاملة مثل الهجرات التي توافدت على مجلس التعاون الخليجي .

وقد بحث علماء الاجتماع في نظرياتهم ظاهرة الهجرة وتناولوها بالتحليل والتفسير بكل أبعادها وأنماطها المختلفة الفردية والجماعية المؤقتة، والدائمة والداخلية، والخارجية، فضلاً عن الهجرات المعاكسة².

وتتشترك (الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية) في الكثير من المحددات والأحكام ولاسيما في حالة الخوافز الاقتصادية والاجتماعية³، إذا ما علمنا أن الهجرة (الداخلية أم الخارجية) إنما تتم في الغالب من الأرياف إلى المدن، ولهذا الانتقال آثاره التي

¹ ألان سويدلند، جورج أرملاجوش - الانثروبولوجيا السكانية - ترجمة د. السيد أحمد حامد، د. محمد عبد الرحمن الشرنوبي، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة. ط 2، 2003 - ص ص 48 - 50.

² جلال عبد الله معوض، التحضر والهجرة العمالية في الأقطار العربية، مجلة الخليج والجزيرة العربية، العدد 51 يوليو 1987، ص 20

³ ألان سويدلند، جورج أرملاجوش، مرجع سبق ذكره، ص 89.

تلامس حياة المهاجرين وأسرهم وتحديدًا ما يتصل في بناء الأسرة ووظائفها، من هنا جاء اختيار موضوع هذه الدراسة التي تحاول بحث دور الهجرة الداخلية والخارجية على حد سواء وآثاره في بناء الأسرة اليمنية ووظائفها.

إن افتقار البيئات المحلية إلى الموارد الرئيسة، فضلاً عن زيادة عدد السكان وتضاؤل فرص العمل وقلة الخدمات فيها كانت الحافز للهجرة سواء أكانت الهجرة داخلية أم خارجية.

إذ إن لهذه الهجرات بأنواعها المختلفة وبمسيباتها آثاراً مختلفة، فبناء المدن واتساعها وسيطرة الحياة الحضرية والتحول نحو الصناعة، إنما كان من أهم الأسباب الدافعة للهجرة وفي مقدمتها الهجرة من الريف إلى المدن التي وجد الناس فيها متسعاً للخروج من مشكلاتهم المختلفة.

وقد لقيت مسألة حركة السكان والنمو الحضري اهتماماً كبيراً من الباحثين في دراسة التحضر بصفة عامة، وفي بحوث علم الاجتماع بصفة خاصة، وبالرغم من إمكانية دراسة كل من عنصري هذه المسألة على حدا إلا أن كثيراً من الدراسات الحضرية الحديثة يدمج فيما بينهما في إطار واحد على أساس أن هذين العنصرين يكونان في النهاية موضوعاً واحداً متكاملًا¹.

وفي الصحراء الجزائرية تضاعفت الحركة الداخلية مع نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن، وذلك مع بداية عمليات التنقيب عن البترول والمعادن وهي العملية التي انعكست آثارها على النشاط الزراعي في المراكز الزراعية القريبة من المدينة، فكثير من الريفيين انتقلوا إلى أماكن بعيدة طلباً للعمل بأجر مرتفع، خصوصاً وأن العامل

¹ محمود الكردي، التحضر دراسة اجتماعية، الكتاب الثاني: الأنماط والمشكلات، دار المعارف، القاهرة، 1986، ص ص 49-50.

الزراعي في تلك الفترة لم يكن دخله اليومي يتعدى (200 دج) مما أدى به إلى ترك عملة التقليدية للعمل في ورشات التنقيب عن البترول التي تقدم أجرا يوميا للعامل غير المؤهل يقدر بـ (6 فرنكات جديدة) منذ 20 سنة، يضاف إليها الأكل والنوم والخدمات الصحية والنقل¹. وقد لعبت حركة السكان دورا بارزا في زيادة النمو السكاني في مدينة أدرار ويعتبر اتجاه السكان للانتقال من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية ظاهرة حديثة نسبيا في حياة السكان الأدراريين، ويمكن القول أن الهجرة إلى مدينة أدرار هي نتاج للانجذاب الحضري، وفي نفس الوقت بسبب عوامل الطرد في المناطق الريفية.

فإذا كان ظهور النفط وما أتاحه من فرص عمل قد أدى إلى تغيير كبير في شكل استقرار السكان بهجرة أعداد كبيرة إلى المدن، فقد كان أيضا نتيجة لتدهور النشاط الزراعي، وعدم توفر مصادر المياه اللازمة، وصعوبة توفر متطلبات الاستقرار للمزارع، وتعدد مشاكله الحياتية، وعدم استقرار دخله مما جعل الاعتماد على مهنة الزراعة غير مشجع للمزارعين.

فقد تعرضت مدينة أدرار لتيارات النزوح من المهاجرين وذلك للعمل في المصالح الحكومية والمرافق وقطاع الخدمات، وبدأت مرحلة الهجرة المتفجرة منذ عام 1964 بعد الاستقلال. فإذا كان معدل الزيادة الطبيعية خلال الفترة من 1964-1977 يمثل 3%، فلا شك إن الهجرة إلى المدينة تساهم بما يزيد عن 4%⁽²⁾.

¹ محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، "دراسة سوسيو أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 171.

⁽²⁾ أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج تعداد 1998، مديرية التخطيط والإحصاء، وهران، 1999، ص 18.

ويمكن تقسيم حركة السكان إلى مدينة أدرار إلى قسمين: الأول هو حركة الأدراريين من المناطق الريفية والبدوية (الهجرة الداخلية) ، والثاني هو حركة الوافدة من المدن الأخرى من الوطن . فحركة السكان إذن ظاهرة اجتماعية تستحق تناولها بالدراسة والتحليل، نظرا لارتباطها بموضوع التحضر والنمو الحضري ومن اجل ان تكتمل الصورة لدينا سنتناول ذلك بالتفصيل .

فمن حيث هجرة الأدراريين فقد بلغ عدد المهاجرين في عام 1964 حوالي 43.913 مهاجر ، بلغ عدد الذكور 25.736 بنسبة 58.6% بينما كان عدد الإناث 18.177 بنسبة 41.4% - وفي عام 1973 بلغ عدد المهاجرين 60.610 يمثل الذكور منهم 55% بعدد 33.274 ، بينما بلغ عدد الإناث 27.336 بنسبة 45% أما في عام 1984 فقد بلغ عدد المهاجرين 34.181 ويشكل عدد الذكور 55% من إجمالي المهاجرين .⁽¹⁾

وتشير دراسة أجريت على حركة السكان لمدينة أدرار عن طريق العينة بأن حوالي 49% من المهاجرين قد جاءوا إلى المدينة للبحث عن عمل، كما إن بعضا منهم جاءوا يشتغلون أعمال حرة، وان اغلب هؤلاء المهاجرين كانوا مصحوبين بعائلاتهم حيث كان حوالي 26% منهم مرافقين للعائلة .⁽²⁾

ويلاحظ أنه أكبر نسبة من المهاجرين إلى مدينة أدرار كان من المدن الشمالية، ويعزى ذلك إلى أن الهجرات الأولى للمدينة كانت من المدن الغربية من

⁽¹⁾ أمانة التخطيط ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، نتائج تعداد 1987 ، وهران ، ص ص 20 ، 21 .

⁽²⁾ Plan durbanisation de wilaya dadrar, 2002, p:52.

الوطن، حيث تتاح للوافد الجديد فرص العمل والسكن من خلال الأقارب، وهو ما يدفع غيرهم للهجرة إلى نفس المدينة.

فمدينة أدرار ونتيجة لحركة السكان نحو الحضر، فإن نمو المدينة يزداد بسرعة أكبر من غيرها من المدن الصحراوية، مثال ذلك فإن عدد سكان المدينة عام 1966 يقدر بـ 4468 نسمة وارتفع إلى 7057 نسمة عام 1977 ، وفي التقدير الحالي (2008) وصل سكان أدرار إلى 60956 نسمة، كما تتميز الهجرة في البلاد النامية بأنها هجرة باتجاه واحد من الريف إلى المدينة ، ولهذا فهي تتسبب في مشاكل عمرانية في ضواحي المدن مثل نمو الأحياء القصديرية، وما يترتب عليها من مشكلات عديدة، لأن الهجرة إلى المدينة تؤثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للدولة، فهي تقلل من عدد الأيدي العاملة في الزراعة، مما يؤدي بالتالي إلى ارتفاع أجور العمال الزراعيين كما تؤدي إلى ازدحام المراكز الحضرية بالسكان، الأمر الذي يعوق البناء الاجتماعي عن أداء وظائفه الأساسية .

والملاحظ إن من أهم عوامل الهجرة إلى مدينة أدرار، العمل في الصناعة الاستخراجية أو في ورش البناء والأشغال العمومية وما يتصل بها من خدمات، ولا شك أن انتقال الريفي إلى المراكز الحضرية حيث تختلف الظروف والعلاقات الاجتماعية والثقافية السائدة فيها، يعني انتقاله إلى مجتمع معقد له صفاته وخواصه، ولهذا تعددت المشكلات التي يتعرض لها المهاجر، منها: ⁽¹⁾

1- الإحساس بالفردية بين أفراد مجتمع المدينة مما يشعر المهاجر بالضيق.

⁽¹⁾ احمد كمال وآخرون ، علم الاجتماع الحضري، دراسة بنائية وظيفية للمجتمع الحضري ، القاهرة ، دار الجيل للطباعة ، 1985 ، ص : 101 : 102 .

2-الإحساس بالغربة بسبب الانفصال عن العائلة القربانية، مما يسبب للمهاجر توترا نفسيا ينعكس في صورة صراع مع المجتمع الحضري الجديد.

1- عدم استقرار المهاجر في عمله إلى حين، مما يؤدي به إلى التنقل وكثرة التحول من عمل إلى آخر، ويرجع هذا إلى تعدد ميادين النشاط الاقتصادي في المدينة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

2- سعة المسافة بين جيل الآباء المهاجر وبين الأبناء أمام السمات الحضارية الجديدة في المدينة.

3- اصطدام الأنماط الثقافية التقليدية للمهاجر بالأنماط الثقافية التي يواجهها في المجتمع الجديد.

وقد بدأت مظاهر هذا التغير على جماعات واحة " تميمون " الذين اتجهوا نحو آبار البترول في " زاوية الدباغ، الحدودية مع مدينة للبيض، كما تأثرت واحات توات وتيديكلت وتامنراست وايدلس بقاعدة " رجان " للتجارب النووية ، وبمركز الأبحاث النووية بعين أيكر وبعض الشركات التي قامت بالبحث عن البترول والمعادن .

اتخذت الهجرة الداخلية إلى مدينة أدرار مظهرين :

أ - هجرة مؤقتة للعناصر الشابة من الرجال، وذلك نحو المدينة والمراكز المحيطة بها بحثا عن عمل بأجر، في حين يبقى مجموع أفراد الأسرة في الريف للقيام ببعض الأنشطة الاقتصادية البسيطة كترية قطعان من الماعز أو القيام ببعض الأعمال الزراعية المحدودة، وفي بعض الأحيان تقوم النساء بصناعة الأدوات التقليدية من جلود المعز كالمحافظ والأكياس وغيرها .

ب - هجرة البدو أو القصوريين نحو المدينة بصفة نهائية. وفي هذا النوع من الهجرة يصطحب رب الأسرة جميع أفراد أسرته ، ويدخل هذا في نطاق " النزوح الريفي " L'Exode Rural الذي يؤدي بالتالي للاستقرار والتحضر ، لان وجود الزوجة والأطفال في المدينة هو احد العوامل الهامة للاستقرار ونمو شعور الفرد بالاستقلال والانفصال عن مجتمعه الأصلي، مما يؤدي في النهاية إلى ضعف ارتباطه به ، وعلى هذا الأساس فإن بقاء الزوجة والأطفال في الموطن الأصلي يمثل احد العوامل الأساسية لاستمرار ولاء الفرد لمجتمعه القروي، لان تحضر واستقرار الريفي، الذي يقصد به انفصاله واستقلاله التام عن مجتمعه التقليدي، هو الحالة التي يصبح فيها متحررا من ولاءه لقبيلته، وغير معتمد على نسقها الاجتماعي والاقتصادي ، ويصبح بالتالي مواطنا في الدولة كأبي مواطن آخر، وليس كعضو في القبيلة التي ينتمي إليها.

وفي مدينة أدرار لا تتوفر إحصاءات دقيقة على مستوى أجهزة الإدارة المحلية ، تحدد عدد المهاجرين إليها من المدن الأخرى، أو من المزارعين الذين استقروا فيها، ولكن الملاحظة التي يمكن تسجيلها، هي أن موجات الاستقرار خلال السنوات الأخيرة في أدرار تركزت بشكل عام في منطقتين متميزتين :

أ- تتمثل أولهما في المنطقة الحضرية داخل المدينة حيث تتركز المساكن الحديثة ومدارس التعليم والفنادق والسينما والمؤسسات الإدارية والمستشفى والمقاهي والمتاجر وغيرها.

ب - وتتمثل الثانية في ظهور الأحياء الجديدة وظهور الحي القصديري "بني وسكت" وبعض المساكن الشعبة على أطراف المدينة.

تبين من الدراسة إن هناك عدة أسباب كانت وراء حركة السكان إلى مدينة أدرار والاستقرار بها.

فأغلبية المبحوثين هاجروا إلى المدينة إما للالتحاق بأقاربهم وللحصول على العمل في آن واحد (قبل 1962)، وإما مباشرة لطلب العمل دون تأثير الأقارب على ذلك، خصوصا بعد الاستقلال، وذلك تحت تأثير عاملين أساسيين في حركة الهجرة هذه هما: أزمة الجفاف التي حلت بالريف وباقي الصحراء الكبرى، وأحداث مقر الولاية الجديدة أدرار، الأمر الذي أدى إلى إيجاد عدة مؤسسات وأجهزة إدارية جديدة في مقر الولاية تطلبت أيدي عاملة كثيرة.

وجاء في دراسة " جوس " عن (النمو الحضري في أدرار) انه منذ 1964 بدأت الهجرة الداخلية إلى المدينة بشكل كبير، وتشير بعض الإحصاءات البلدية انه تم خلال سنة 1966 استقرار حوالي 100 أسرة من البدو ، أما دراسة " جوس " فقد أوضحت انه تم خلال سنة 1970 استقرار 200 أسرة اي حوالي 1.000 إلى 1.200 نسمة من البدو، أو ما يعادل 4/1 سكان مدينة أدرار. ومن حيث الهجرة الوافدة من غير الأدراريين إلى المدن يلاحظ أن عددهم زاد من 2.660 في أول تعداد عام 1967 إلى 54.183 في تعداد 1978، بينما وصل إلى 70.868 وافدا في تعداد عام 1988 ليصل نسبتهم إلى 14% من إجمالي سكان ادرار.⁽¹⁾

ونتيجة للتوسع في وظائف المدينة، وزيادة عدد السكان أخذت المدينة تتوسع وتمثل ذلك في ظهور الضواحي الجديدة كامتداد حضري فقد كانت المناطق السكنية في أحياء حول ووسط المدينة. وتحت ضغط الأنشطة التجارية والخدمات لاحتلال أفضل المواقع المركزية، وهجرة السكان أخذت استخدامات الأرض داخل مركز المدينة

(1) أمانة التخطيط ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، نفس المرجع السابق، ص 18 .

بالتبادل والتغير، فتحول الاستخدام من السكن الى التجارة والخدمات بشكل رئيسي، ومع تزايد السكان ازدادت الحاجة إلى المناطق السكنية التي امتدت بدورها محدثة تغييرات جديدة في أنماط انتشار السكان واستخدامات الأرض.⁽¹⁾

إن تركز المهاجرين في أدرار، في نفس مهنة الأقارب وفي نفس المكان، يشير إلى أهمية دور القرابة في تحقيق التعاون والتضامن بين أفراد الجماعة القرابية من المهاجرين، فقد كان المهاجرون من القصور أو من المدن المجاورة يعتمدون على أقاربهم الذين سبقوهم في الهجرة إلى المدينة، حيث يقوم هؤلاء باستضافتهم لحين حصولهم على عمل مناسب. وهو العمل الذي غالبا ما يكون في مراكز الصناعة الاستخراجية ومخازنها، التي ترحب بالعمال غير المهرة، أو في أعمال الحراسة في المؤسسات المختلفة في أدرار.

والملاحظ إن هجرة الريفيين إلى المدينة تتسم بتضامن العائلة (حسب القبيلة) في تنظيم الهجرة من اجل العمل بأجر، لأنها هي التي تحدد من يهاجر من أفرادها، ومتى يهاجر، ومتى يعود، ليأخذ مكانه فرد آخر من العائلة والذي غالبا ما يحل محل الأول وفي نفس العمل سواء كان حراسة أو غيرها. كما يلاحظ اقتصار الهجرة على الذكور دون الإناث، لأن من يهاجر بزوجه وأطفاله معناه الاستقرار في أدرار بصفة دائمة.⁽²⁾

وقد أوضح مبروك مقدم، أن البحث عن العمل والتعليم هما من أهم دوافع الهجرة إلى مدينة أدرار، وبدراسة عينة مكونة من 148 نسمة من المهاجرين (العاطلين) في المدينة سنة 1989 تبين أن 53.6% منهم كان للبحث عن فرصة

⁽¹⁾ Office national de statistique, oran, 2008, p:80

⁽²⁾ محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، مرجع سابق، ص 208.

جديدة للعمل وهو الهدف الذي أتى بهم إلى مدينة أدرار، 17% الاستقرار الأمني، ونسبة 11.7% لممارسة التجارة وأساليبيها، ونسبة ضئيلة قد جذبهم بريق المدينة، ونسبة أخرى أتت بهم صعوبة الحياة التي يعيشونها في الريف.⁽¹⁾

وقد لعبت الهجرة دوراً بارزاً في زيادة النمو السكاني في مدينة أدرار ويعتبر اتجاه السكان للانتقال من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية ظاهرة حديثة نسبياً في حياة السكان الأدرارين، ويمكن القول أن الهجرة إلى مدينة أدرار هي نتاج للانجذاب الحضري، وفي نفس الوقت بسبب عوامل الطرد في المناطق الريفية.

أتضح أن المهاجرين إلى مدينة أدرار وخاصة الريفيين، الذين يشكلون قسماً من فئة العمال غير المهرة، يلاقون عدة صعوبات في المجتمع الجديد، إذ تعوزهم الخبرة والمران في الأعمال التي يمارسونها، بالإضافة إلى صعوبة تكيفهم للحياة الحضرية التي تتطلب منهم تغيير أو تعديل نماذج السلوك والقيم التي تحكم حياتهم التقليدية، وهو الموقف الذي ترتب عليه نوع من صراع القيم انعكس على سلوك البدوي العامل، وعلى علاقاته بالجماعة الجديدة التي يعيش فيها، ويعمل بين أفرادها .

- مراحل تحضر مدينة أدرار:

يعتبر السكان العنصر الحيوي، حيث لم تعد المدن هي التي تحدد أنماط أنشطة السكان وتوزيعاتهم ، وإنما أصبح السكان هم القوى المؤثرة في الطريقة التي يجب أن تتوسع بها المدينة، وأصبح تركيب المدينة انعكاساً لتفاعل وتداخل القوى

⁽¹⁾ مبروك مقدم، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحية بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن، و التاسع العاشر للهجرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، وهران ط1، 2002. ص27.

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية والسياسية التي تمثلها المجموعات السكانية المتباينة . (1)

وتمثل حركة السكان عاملاً هاماً لعب دوره في زيادة حجم مدينة أدرار وتوسعها العمراني. " فمنذ ان نالت الجزائر استقلالها تضاعف حجم سكان المدينة أكثر من ست مرات، فقد ازداد عدد السكان من 4468 نسمة عام 1966 إلى 7057 نسمة عام 1977 . فخلال الفترة الممتدة من 1977-1988 بلغ معدل النمو بها حوالي 9% ثم وصل إلى 11.6% في الفترة من 1988-1998 . وارتفع المعدل إلى 25% في الفترة من 1998-2008 وذلك بسبب ارتفاع معدل الهجرة إلى المدينة . (2)

ولقد مرت مدينة أدرار بست مراحل مميزة في عملية نموها الحضري منذ بداية الاحتلال الفرنسي عام 1830 إلى اليوم. كان هذا النمو نتيجة لعدة عوامل. العامل الاقتصادي ويقصد به مختلف الاستثمارات والإصلاحات التي أولتها الدولة لهذه المنطقة ،والعامل السياسي ويقصد به الاستقلال والاستقرار الأمني، والعامل الاجتماعي ويعني ميل السكان إلى الحياة الحضرية لأنها أكثر استقراراً ورفاهية وبداية تكوين الثقافة الحضرية بالنسبة لسكان الريف.

المرحلة الأولى ما قبل الاستقلال:

خلال هذه المرحلة كانت أدرار منطقة ريفية زراعية تخضع للاستعمار الفرنسي كما في مدن الوطن. فلم توجد بها سوي مراكز عسكرية وبعض المباني

(1) عبدالاله ابو عياش، واسحق القطب، الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص 62.

(2) أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج تعداد 1987، وهران 1987، مرجع سابق، ص ص 17، 18

لضباط الجيش الفرنسي، وبعض العملاء وأكواخ للسكان الأصليين الذين أتي بهم الاستعمار من القصور المجاورة لخدمة أغراضه ومصالحه بالمنطقة (كانوا يقومون بجميع المنتجات الزراعية على سكان القصور) الأمر الذي أدى بالسكان يتوافدون إلى المنطقة بحثاً عن العمل بعد أن تركوا حقولهم وبالتالي أقاموا بيوتاً وأكواخاً لهم واستقروا بها. ضف إلى ذلك وجود القصبة القديمة. في هذه المرحلة تم إنجاز عدة سكانات خضعت لتنظيم المحكم والتخطيط، لغرض جمع السكان الذين أتي بهم المستعمر من القصور، وشملت إنجاز 228 بناية منظمة تتخللها طرقات واسعة ومستقيمة بأرصفتها عريضة ومتوازنة، أما السكان فقد كانت حياتهم ريفية تنسم بالفقر. وتخضع للتنظيم القبلي وسياسياً للإدارة الفرنسية⁽¹⁾.

المرحلة الثانية (1962 – 1966) :

بعد الحصول على الاستقلال 1962م وجد السكان أنفسهم أمام مساكن شاغرة مورثة عن الاستعمار فقاموا بملء هذا الفراغ الذي خلفه الاستعمار حيث تم إنجاز 185 مسكناً في إطار إعادة الإسكان ووصل عدد البنايات في عام 1966 إلى 1080 بناية مقابل 4468 نسمة. ورغم تكوين الجمعة الحضرية إلا أنها بقيت منطقة ريفية.

المرحلة الثالثة (1966 – 1977) :

في هذه المرحلة شهدت الجزائر التخطيط الاقتصادي وسياسة التصنيع، وكانت مدينة أدرار من المدن المستفيدة من هذا التخطيط فزداد عدد السكان بها وبدأت تظهر فيها معالم التحضر. فقد وصل عدد البنايات في هذه المرحلة 1650 بناية مقابل 7057 نسمة أي بزيادة 570 بناية و2589 بناية عن المرحلة السابقة.

(1) فرج محمود فرج، فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1985، ص 23.

ويرجع هذا التزايد السكاني إلى تحسين الظروف المعيشية وهجرة سكان القصور إلى هذه المدينة التي صارت شبه حضرية.

المرحلة الرابعة (1977 – 1987):

في هذه المرحلة زاد النمو السكاني وبدأت الجمعية الحضرية أدرار في التوسع، كما ازداد عدد البنايات نظراً للدعم الذي أولته الدولة لقطاع السكن والتنمية بالصحراء الكبرى. فلقد بلغ عدد السكان سنة 1987 28495 نسمة وهذا يدل على زيادة في عدد المواليد وقلة عدد الوفيات بسبب تحسين الظروف المعيشية من جهة والهجرة المتوافدة من المناطق المجاورة لأغراض اقتصادية (العمل والنشاطات الأخرى). ولصعوبة العيش في المناطق الريفية (القصور) هذا النمو السكاني أدى إلى توسع الجمعية الحضرية حيث بلغ عدد البنايات 6754 بناية سنة 1987. و في هذه الفترة صنف كمدينة. وخلال هذه المرحلة شهدت مدينة أدرار عملية تحضر سريعة كباقي المدن الجزائرية.

المرحلة الخامسة (1987 – 2008):

أدى اكتشاف البترول في الصحراء إلى مضاعفة نشاط استخراجيه وبالتالي زيادة عدد سكان المدينة نتيجة للمهاجرين إليها بحثاً عن العمل. وبدأت تظهر المشاكل الحضرية في المدينة بسبب النمو السكاني السريع، والتي تتمثل في ظهور السكنات الفوضوية كحي بني وسكت مثلاً. وكذلك انتشار الآفات الاجتماعية (الفقر، البطالة، الجريمة ... الخ) بالإضافة إلى ظهور مشاكل في المواصلات خاصة النقل الحضري والريفي.... الخ مما أدى إلى تجمع السكان في مركز المدينة. وقد بلغ عدد السكان نسمة 60926 في مقابل 12096 بناية.⁽¹⁾

⁽¹⁾Plan durbanisation de wilaya dadrar,2002,p:12.

المرحلة السادسة (2008-2016):

في هذه المرحلة بدأت تظهر سياسات الدولة بشكل كبير حول اهتمامها بالعمارة والتطوير في السياسات السكنية وظهور المناطق الحضرية الجديدة حيث شهدت المدينة التوسع العمراني في كل الأطراف منها إنجاز حي أحمد إدارية سنة 2000 من نوع المباني الجاهزة التي يتكون من 140 مسكن خاص للإطارات الدولة. وهيئة مساحة معتبرة في منطقة تبليان وفي 140 مسكن لإنجاز السكنات والإيجار والبيع بالتمليك . إضافة إلى بيع قطع أرضية مخصصة للبناء الخاص وهذا في إطار السياسات السكنية والمخططات التي أعدتها الدولة في هذه المرحلة. فقد ارتفع عدد السكان في هذه الجمعية الحضرية سنة 2008 إلى 80936 نسمة مقابل 28156 مسكن. فهي بذلك تعتبر أكبر جمعية حضرية في الولاية من حيث عدد السكان وعدد البنايات لأنها تعتبر مركزاً للولاية.

والجدول التالي يلخص بوضوح مراحل التحضر في مدينة أدرار⁽¹⁾

المرحلة	السكان (ن)	الزيادة	البنايات	الزيادة
ما قبل 1962	/	/	228	/
1962 – 1966	4468	/	1080	+ 852
1966 – 1977	7057	+ 2589	1650	+ 570
1977 – 1987	28495	+ 21438	6754	+ 5104
1987 – 2008	60926	+ 34431	12096	+ 4342
2008 – 2016	80936	+40010	28156	+ 7060

المصدر : مديرية التخطيط والعمارة بولاية أدرار

⁽¹⁾ Plan d'urbanisation de wilaya d'adrar, 2002, p:23

خلاصة

نستنتج أن الهجرة كانت عاملاً أساسياً في النمو الحضري والتحضر الذي يصاحبه عادة نمو سكاني في المناطق الحضرية. (نتيجة لنمو السكان إجمالاً من ناحية ، ولنزولهم من المناطق الريفية إلى المدن من ناحية أخرى) وكذلك ما شهدته المدينة من اتساع في أنشطتها وتوسع في مساحتها ، الأمر الذي خلق مزيداً من فرص العمل حيث الأجر الأكبر والمستوى المعيشي الأفضل، وما يستتبع ذلك من تحسين نوعية الحياة مما يدفع الأفراد بطبيعة الحال إلى محاولة الإقامة فيها أضيف إلى ذلك كله الظروف المعيشية السيئة نسبياً التي يعيشها المواطن بالمناطق الريفية والقصورية ، كان ذلك استكمالاً لمنطقي للدوافع التي تؤثر في استفحال ظاهرة الهجرة وزيادة في النمو الحضري للمدينة .

كما توصلت الدراسة إلى أن معظم المهاجرين إلى مدينة أدرار وخاصة الريفيين، الذين يشكلون قسماً من فئة العمال غير المهرة، يلاقون عدة صعوبات في المجتمع الجديد، إذ تعوزهم الخبرة والمران في الأعمال التي يمارسونها، بالإضافة إلى صعوبة تكيفهم للحياة الحضرية التي تتطلب منهم تغيير أو تعديل نماذج السلوك والقيم التي تحكم حياتهم التقليدية، وهو الموقف الذي ترتب عليه نوع من صراع القيم انعكس على سلوك الريفي أو القصورية.

قائمة المراجع:

1. جلال عبد الله معوض، التحضر والهجرة العمالية في الأقطار العربية، مجلة الخليج والجزيرة العربية، العدد 51 يوليو 1987، ص 208.
2. حلیم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، ط7، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص 171.
3. ألان سويد لند، جورج أرملاجوش- الانثروبولوجيا السكانية- ترجمة د. السيد أحمد حامد، د. محمد عبد الرحمن الشرنوبي، مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة 2003 - ص ص 48-50.
4. ألان سويدلند، جورج أرملاجوش، مرجع سبق ذكره، ص89.
5. محمود الكردي، التحضر دراسة اجتماعية، الكتاب الثاني: الأنماط والمشكلات، دار المعارف، القاهرة، 1986، ص ص 49-50.
- 6- محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، "دراسة سوسيو أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص171.
- 7- أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج تعداد 1998، مديرية التخطيط والإحصاء، وهران، 1999، ص 18.
- 8- أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج تعداد 1987، وهران، ص ص 20، 21.
- 10- Plan durbanisation de wilaya dadrar, 2002, p:52
- 11- احمد كمال وآخرون، علم الاجتماع الحضري، دراسة بنائية وظيفية للمجتمع الحضري، القاهرة، دار الجيل للطباعة، 1985، ص : 101 : 102 .
- 12- أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نفس المرجع السابق، ص 18
- 13- Office national de statistique, oran , 2008, p:80

- 14- محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، مرجع سابق، ص208.
- 15- مبروك مقدم، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثاره الإصلاحية بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن، و التاسع العاشر للهجرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، وهران ط1، 2002، ص27.
- 16- عبدالاله ابو عياش، واسحق القطب، الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص 62.
- 17- أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج تعداد 1987، وهران 1987، مرجع سابق، ص ص 17، 18.
- 18- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، نفس المرجع السابق، ص 23.

19- *Plan durbanisation de wilaya dadrar,2002,p:12.*

20- *Plan durbanisation de wilaya dadrar,2002,p:23-21*